مجزرة الأربعاء الأسود على لسان أهالي الضحايا

لقد منحونا شهادات الوفاة بدل الشهادات المدرسية

> علاوي وعباس فلذتا كبدي أحلم بهما كل يوم كطيرين من طيور الجنة ، انا احبهما جداً ، هل كان اللّه يحبهما مثلي فأراد ان يأخذهما مني؟ بهذه الكلمات ابتدأ السيد قيس والد الطفلين الشهيدين حديثه معنا.. وبدا الرجل المنكوب في غاية التأثر فراح يجهش في البكاء.

اياد عطية الخالدي/ مفيد الصافي
تصوير: سمير هادي/ نهاد العزاوي

القبض على يمني مفخخ كان يريد اكمال المجزرة

السيد قيس وزوجته انتظرا طويلاً قبل ان يرزقا بطفلين وكانت فرحته وزوجته والعائلة كبيرة بولادتهما.

عندما استعاد الرجل توازنه سألته إن كان يطالب بتعويض من الحكومة عما لحق به من نكبة وضرر بالغ؟

قال عن أي تعويض تتحدث؟ هل يعيد لي التعويض اطفالي؟ العوض على الله ومن الله.. واستدرك يقول لقد كنت سجيناً سياسياً أيام حكم نظام صدام، عدت إلى دائرتي قبل فترة قصيرة وها أنا ذا أخسر ولدي الحبيبين أنا احمل الأمريكان والحكومة مسؤولية قتلهما، وأحمل وزارة الداخلية التي تهاونت في ضرب الارهاب.

وفيما كنا نتحدث مع السيد قيس دخلت علينا امرأة في العقد الخمسيني عرفنا فيما بعد انها جدة الشهيدين.. وسألتنا بغضب واستنكار لماذا قتلوا اطفالنا، لماذا أطفوا نور عيوننا، لماذا تتركهم الحكومة يفعلون بنا كل هذه الجرائم لمن نعيش بعد الآن؟ قالت كلمتها قبل ان تخر مغشياً عليها.

الأربعاء الاسود

كانت اللافتات السود تغطي جدران شوارع منطقة النعيرية المفجوعة بقتل أطفالها، في احد الشوارع وهو المؤدي إلى ساحة بجوار الخط السريع حيث وقع الانفجار كانت هناك ست عشرة عائلة نكبت باطفالها بيت بجوار بيت ومآتم أقيمت في طول الشارع للشهداء الأطفال، في يوم لا يمحى من ذاكرة المدينة. وذاكرة الطفولة العراقية. لقد كانت تلك الجريمة بحق، واحدة من أبشع الجرائم الإرهابية في العالم.

يروي لنا فارس هادي (١٨) سنة شقيق الشهيد حمزة (١١) سنة جانباً من هذه الفاجعة الإنسانية قائلاً: لا أعرف لماذا نهض حمزة في هذا اليوم مبكراً. فمنذ ان ابتدأت العطلة المدرسية اعتاد واصدقاؤه ان يتأخروا في نومهم. في الصباح راح يجمع اصدقاءه ليلهوا ويلعبوا ويجوبوا بدراجاتهم الهوائية في شوارع المنطقة، وفي ساحة محاذية للخط السريع كانت هناك مجموعة من الأطفال يعلبون الكرة، توجهوا نحو جندي أمريكي كان يوزع الحلوى والهدايا على الأطفال، فانضم شقيقي وأصدقاؤه إلى الأطفال المتجمعين حوله في هذه الاثناء كنت واقفاً في الباب عندما مرت سيارة، (كالوبر ذات محرك الدفع الرباعي) يقودها انتحاري بسرعة فائقة سحق في طريقه مجموعة من الأطفال قبل ان يفجرها في حشد الأطفال المتجمعين.

ويواصل فارس حديثه بالقول في هذه اللحظة صرخ والدي أين حمزة؟ فأجبته: في داخل المنزل غير ان والدتي نفت وجوده لكن وكأني اسمعه يناديني هرعت مع أبناء المنطقة نحو مكان الحادث كانت النيران ما زالت مشتعلة، والدخان يتصاعد تقدمت أبحث عنه وأنا أدوس على الشظايا والنيران من دون أن اشعر بأنها أحرقت قدمي، وجدته بجوار سرفة الدبابة وقد فارق الحياة فحملته بيدي وسلمته إلى أمي..

القبض على يمني مفخخ

ويقول أبو عباس محظوظ منا من استطاع التعرف على جثة طفله فقد كان الانفجار الذي أحدث حفرة بعمق ثلاثة أمتار هائلاً ومدمراً وكنا نشم رائحة أجساد أطفالنا المحترقة. الا لعنة الله على الإرهابيين المجرمين.

يقول عم الشهيد حمزة: في الوقت الذي كان أبناء المنطقة يقومون بعملية انقاذ المصابين وينتشلون جثث الضحايا، اخبرنا بأن هناك سيارة ملغومة أخرى في المنطقة تحاول استهدافنا، وطلب منا ان نبتعد عن المكان، لكننا رفضنا وواصلنا مهمتنا فلا غيرتنا ولا أخلاقنا يسمحان لنا ان نترك الضحايا وأي ضحايا.. ولهذا قامت مجموعة منا بحماية المنقذين. وأخرى متابعة السيارة الملغومة، والتصدي لها وبالفعل تمكن احد أبناء المنطقة من التعرف على الإرهابي من لهجته وكان يمني الجنسية، طلب ماء حيث كان يتربص بنا فباغته المواطن وأمسك به من يديه وتمكن من السيطرة عليه واعتقاله وتم تلسيمه إلى الشرطة.

شهادات وفاة بدل شهادات المدرسة

هادي فارس والد الشهيد حمزة يقول: اننا نحمد الله ونشكره على كل حال، فنحن قوم مسلمون صابرون على ما ابتلينا به لكن كانت المجزرة رهيبة، كانت العوائل تنبش بين الجثث المقطعة والمتفحمة عن اطفالها، وقد تأخرت معرفة وتمييز جثث الأطفال.

اتجه قسم منا إلى مستشفى الكندي وآخر إلى مستشفى ابن النفيس، والمشكلة التي واجهتنا تأخر إصدار شهادات الوفاة أليس من المفارقة ان تتسلم شهادة وفاة أبنك بدل شهادته المدرسية؟!

عدد من الآباء والأمهات أصيبوا بحالة من الهستيريا عندما كانوا يبحثون عن أطفالهم وأغمي على العديد منهم.

أبو طه أصيب بجلطة بعد ان فقد ابنه الوحيد كانت فاجعة وكان يوماً أسوداً وأنه من المؤسف اننا طالبنا بحماية المآتم التي أقيمت لقراءة الفاتحة على أرواح الأطفال الشهداء، لكن من دون فائدة بينما يشاهد السكان يومياً الإرهابيين وهم يجوبون بسياراتهم شوارع المنطقة التي شهدت العديد من الجرائم الإرهابية.

عادل ما زال يتفقد اصدقاءه الشهداء

الطفل عادل علي كان الناجي الوحيد أصيب بحالة نفسية، حيث ما زال يطرق أبواب بيوت اصدقائه ويسأل أين ذهب حمزة وعباس وطه ومصطفى وعلاوي وسجاد وكرار لماذا لم يأخذوني معهم. مع من سألعب بعد الآن؟

حسن محمد الذي استشهد أبنه علاء (١٣ سنة) تساءل لماذا يقتلون أبناءنا الأبرياء ما الذنب الذي اقترفوه لتقطع أوصالهم بهذه الطريقة الوحشية. وأضاف ان الأمريكيين لم يخسروا سوى عربة هامفي، لكننا فقدنا العشرات من فلذات أكبادنا.

أعلنت وزارة الصحة ان الإحصائيات الأولى لضحايا العملية الإرهابية الهمجية في النعيرية أسفرت عن قتل ٣٢ طفلاً وإصابة ٣١ آخرين بجروح معظمها خطرة، وان القتلى والجرحى معظمهم من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين ١٣٦ سنة بينهم شاب واحد بعمر ١٨ سنة، وان اعداداً من الشهداء احترقت أجسادهم بالكامل، أو قطعت إلى أشلاء.

وفي مستشفى الكندي حيث تم نقل الضحايا، هرع العشرات من ذويهم إليه وهم بحالة هستيرية بحثاً عن أطفالهم الذين استشهدوا في الانفجار.

هناك وقفت الأمهات المنكوبات وهن يلطمن الخدود فيما أصيبت أخريات بالإغماء وبحالات هستيرية بعد ما شاهدن أطفالهن وهم مقطعو الأوصال.

ويقول الدكتور ثامر طارق الطبيب الجراح ان اغلب الإصابات شديدة ومن الصعوبة معالجتها وان حالات الإصابات تراوحت ما بين الدرجة الثانية والثالثة، كما أصيب أطفال آخرون بعصف الانفجار الذي يقتلع القلب والرئة ويؤدي إلى وفاة المصاب حتى إذا لم يتعرض إلى إصابات مباشرة.

ضعف الوعي الصحي بإخلاء المصابين

وأوضح الدكتور ثامر إنه في حالات الكوارث وفي عمليات الانفجارات، فان الأطباء ينشغلون بالاصابات الخطرة التي قد تؤدي إلى الوفاة ما لم تتم معالجتها بسرعة ثم تأتي معالجة بقية الحالات تباعاً..

وأشار إلى ان مستشفى الكندي غير مستعد لاستقبال الحالات الكبيرة، كتلك التي حدثت في النعيرية، لكن تفاني الأطباء والعاملين في المستشفى وخبرتهم ومهارتهم جعلتهم يستوعبون هذا العدد، كما انه لا يوجد وعي صحي بطرق اخلاء المصابين بالنسبة إلى رجال الدفاع المدني، كما نعاني ضعف الاتصالات بين اطراف عملية الإنقاذ، الدفاع، الإسعاف الفوري، الشرطة، المستشفى، وهذا يعرقل ويؤخر عمليات الإنقاذ.

وبالنسبة إلى التعامل مع أطفال مصابين فانه من المؤلم ان ترى اطفالاً تقطعت أوصالهم وبحاجة إلى مساعدتك لتتمكن من إنقاذهم، لكن ما حدث اننا كنا تحت ضغط العوائل التي تجمعت حول أطفالها المصابين في غرفة الطوارئ والعمليات والتي أدى تدخلها وتصرفاتها الهستيرية إلى أرباك عمليات الإنقاذ. ولم يؤد أفراد الجيش دورهم في منع ذوي المصابين من الدخول إلى صالة الطوارئ والعمليات اذ كيف يمكنك ان تؤدي عملك وسط صراخ وعويل النساء؟

لكن فاطمة راضي والدة الطفلة ياسمين اشارت إلى ضعف الرعاية الصحية في المستشفى، وعدم وجود أجهزة تبريد منه وقلة العلاج.

اما الطفلة ياسمين مهدي (فلة) التي أصيبت في الانفجار بجروح في البطن والظهر بينما كانت تقف في باب منزلها.. فقالت كنا في صالة الانعاش انا وكرار وسجاد وحسين، ولكنهم توفوا جميعاً.

وقالت فاطمة راضي: ان معظم الأطفال الذين أصيبوا في الانفجار توفوا في المستشفى بعد يومين بسبب إصاباتهم البالغة ولم تبق غير ابنتي فلة الطفل علي جميل الذي نقل إلى مستشفى آخر لأنه مصاب في المخ.

وأشارت إلى ان احد آباء الأطفال كان منشغلاً في اخلاء الجرحى ففوجئ برأس ابنه الوحيد بين يديه ليصاب بجلطة نقل في أثرها إلى المستشفى وهو يعيش الآن، بهستيريا.

مدينة النعيرية التي ودعت أطفالها الأبرياء وسط صمت عربي على واحدة من أبشع الجرائم الإنسانية بحق الطفولة والبراءة، يقف أهلها المفجوعون اليوم مع ملايين العراقيين ثلاث دقائق صمت حداداً على أرواح أطفال مجزرة الأربعاء الأسود.

رجل يتطوع لإخلاء الأطفال الجرحى.. فيصادف رأس طفله بين يديه.

بين السطور

صباح الخير أيها العرب!

عامر القيسي

صباح جميل أولاد العمومة الاقحاح وأنتم تحتسون القهوة البرازيلية أو اليمنية، أو الشاي السيلاني، وتتنقلون من فضائية إلى أخرى من دون أن تتوقفوا ولو قليلاً عند مشهد الدم العراقي.

صباح الخير أيها العرب

وأنتم تستمعون إلى كوفي أنان وهو يدين مجزرة الأربعاء الأسود بنبرته الحزينة وسحنته الطافحة بالأسى، من دون أن تشعروا بالخجل للحظة واحدة!!

صباح الخير

أيها المتطون صهوات الفروسية في فناء حدائقكم الخلابة وتقبلون أيادي أسيادكم في الخفاء، وتنحنون إلى أقصى درجات الانحناء السياسي والأخلاقي، وتفتحون أبواب مضايفكم العربية من دون حروب ولا هم يحزنون وتبحثون عندنا في هذا البلد المبتلى بالدم، منذ ان اختاره الله لهذه البقعة الساخنة من العالم عن مجدٍ غابر وسلطان أكلته إيديولوجية العالم المتحضر.

صباح الخير.. أولاد قحطان وعدنان

نسألكم ان كان قد رف لكم جفن وأنتم تشاهدون مجزرة الطفولة العراقية في أربعاء العراق الأسود.. ألم يهزكم ضمير.. ألم تهزكم ومضة من روح إنسانية.. ألم تصعد الدماء إلى وجناتكم المنتفخة فتحمر خجلاً؟!!

أولاد العمومة

لماذا لا يهزكم ضمير ولا قرابة.. ولا جيرة ولا خبز ولا ملح ولا تاريخ ولا ذاكرة. ألم تشموا يوماً رائحة الدم العراقي فوق تراب بلدانكم دفاعاً عن سيادتكم وكراسيكم وصولجاناتكم؟

ألم تنتفخ بطونكم من الخير العراقي في الوقت الذي كان العراقي نفسه يزحف على بطنه؟!

ألم... الله!

صباح الخير أيها العرب

وأنتم تنسلون إلى مخادعكم الزوجية كالنعامة حين تدس رأسها في الرمل هرباً من عدوها. لكن العدو قريب وقريب جداً، لا نتمنى ان يدخل جحوركم، لكن لا تدفنوا رؤوسكم في الرمال.

صباح الخير أيها العرب

واللعنة على الصامت والمساعد والمشارك والمتشفي والمتفرج والمصفق والممول والمروج والخائف والمختفي خلف شعارات براقة والنابح على قافلتنا والناكر لماء دجلة والفرات.

ameralmada@yahoo.com